

الأوديب المضاد⁽¹⁾ Jean-Philippe Cazier

ترجمة: د. كريمة علاق

جامعة عبد الحميد ابن باديس.

إن أساسيات تحليل الفصام المعروضة في أوديب المضاد، هي نتاج أبحاث قام بها كل من "دلوز وغاتاري" على حدة، إذا كان أوديب المضاد يتضمن رفضاً للنظرية الأوديبية، فإن هذا لا يتضمن التخلي عن فرويد، فقد استلقت "قطاري ودلوز" التعارض الذي وقع فيه "أب" التحليل النفسي، الذي اخترع فكرة فريدة للسيرورات النفسية اللاشعورية، غير أنهما قاما بتقزيمها، وبالأخص تلك المتعلقة بالأوديب وأرجعها إلى الأشكال الأكثر ضآلة للفكر وللوجود. ومع أنهما يستعيران عبقرية فرويد عن فكرته للاشعور، وعن إعادة تعريفه للذاتية والأفكار الجديدة للفكر والحياة التي سمح بها مؤلفه، فلم يتساهل "دلوز وغاتاري" مع فرويد "الأوديب" و"المؤيدب".

فقد أعاد أوديب المضاد الطرح، سواء على مستوى النقد النسقي

أو على مستوى التعمق والتوسع في النظريات الفرويدية.

يظهر تعلق "غاتاري" بمؤلف فرويد ولكن بطريقة نقدية، انطلاقاً من العلاج النفسي المؤسساتي والفلسفة الماركسية. وتعرف "الفرويدية" بأنها تصور مثالي، وأنها "سيكولوجية معولمة ومجرداتية"، يصبح الشرط والنتيجة من أساسيات تحولات النفس والفرد. وعلى نحو مؤكد في نفس الوقت، فإن فرويد "قد أوصى بالوسائل التي تحدد علاقات الفرد بالآخر بعيداً عن الفرضيات المثالية"، بما أنه "يقوم دفعة واحدة بمهاجمة مكانة الفرد التي يعتبرها أساساً لاشعورية، أي كما لو أنها في الأصل من المحددات

¹-Jean-Philippe Cazier: *L'anti-Oedipe et alentours* ;
<http://blogs.mediapart.fr/blog/jean-philippe-cazier/060313/lanti-oedipe-et-alentours>.

الفردية، أو كأنها مطبوعة بشكل دائم عن طريق العلاقات البنائية للمجموعة الإجتماعية".⁽¹⁾

حينئذ وعن طريق المخططات التأويلية التي وضع فرويد قواعدها، يجد هذا الأخير في اللاشعور الشكل المشترك للذاتية، و"يشرح بكل براءة إنزلاقا ثابتا لمخطط يجعله دوما يخطئ الحقيقة الإجتماعية"، إذا كان فرويد " يأخذنا إلى طرق ربما تكون أكثر تأكيدا من غيرها، " فإن فكرة اللاشعور النفسي تبقى ناقصة، ذلك أنه عند تشكيل اللاشعور حسب الأشكال الذاتية الفردية، نجده يخطئ حين يفكر في لاشعور منفصل عن التمثلات العادية للأنا الشعوري ويحدد الشروط الحقيقية للذاتية.

ويطور "غاتاري" منطلقا للفردنة، وللمفرد. بينما تعتبر وجهة النظر هذه أساسية عند فرويد: فالدخول إلى نفسية الفرد تصبح ممكنا عن طريق العمليات المعقدة والمحدودة للتأويل. ومع ذلك، فإن أساسيات التأويل الفرويدي تبدو جد مجردة ومثالية، تضع الفرد وسط شبكة مجردة وعالمية. فالمثالية، والتجريد والنزعة العالمية للفكر الفرويدي (والتي قام "دلوز" بنقدها أيضا في كتابه⁽²⁾، قنعت الكشف عن الموضوع التي جعلته هدفا لها. فالرهان الذي طرحه "غاتاري" يتضمن إذن تحديد الوساطات النسبية والمكافئة للتفردات الفعلية.

ويظن فرويد أن العرض تعبير عن التاريخ الخاص بالفرد: إذ أن هذا الأخير -أي الفرد- لا يعبر من خلال الأعراض أو العلامات التي ينتجها إلا تاريخه الخاص، وتصبح للعلامة دلالة شخصية في الأساس. (ففي كتاب "Mille Plateaux" ومن خلال النقد الألسني، تمت إعادة تعريف للعلامة-عرض، (signe-symptôme) بشكل متميز عن الأشكال المألوفة للذاتية

¹ - GUATTARI, Félix : 1974 ; *Psychanalyse et transversalité ; Essais d'analyse institutionnelle*. Éditions la découverte. p.93

² - Deleuze, Gilles: 1967 ; *Présentation de Sacher-Masoch: Le froid et le cruel, avec le texte intégral de la Vénus à la fourrure ; Les Editions de Minuit*. p 48

وللدلالة). ويبدو أن هذه النظرية تتحرر بصعوبة عن الشكل الإعتيادي للذاتية المغلقة والتي نظن أن بإمكاننا تعليق دلالاتنا الخاصة عليها. ليس مهما تعريف هذا التاريخ بالاشعوري، مستخدمين في ذلك قوى وسيرورات لا شخصية، إذا كان في نفس الوقت، كما يفعل فرويد، نقوم بتمثيلها حسب إحداثيات الأنا والشعور: فلا يختلف اللاشعور عن الذاتية الشعورية. فنفس الإحداثيات، ونفس العلاقات والمرجعيات (أب، أم، طفل، علاقات عائلية بورجوازية... إلخ) نجدها تتلاقى فيها تماما، ومنشئة في عداد الأولوية. وهكذا يظن فرويد أن الفردي يكون حسب الأطر المعتادة لذاتية إمبيقية خاصة جدا.

وتسود الفرويدية أيضا إنطلاقا من مرجع أسطوري، ترجع إليه كل فردنة. "بهذه الطريقة على الأقل، يحاول كل مجتمع بدائي أن يفسر كل ما يحدث بالرجوع إلى أسطورة مركزية، حتى وإن تطلب منها الأمر تحولها، من أجل أن تتكفل بشكل جيدا بكافة التطاهرات التي تنتظر التأويل".⁽¹⁾

وبهذا يفترض التأويل حكاية مركبة تكشف الصور والرموز، يكون منطلقها من الذاتية بالدرجة الأولى، وانطلاقا منها تقرأ كل حكاية خاصة ب: أوديب، الإخفاء، الأب... إلخ. حيث تصبح على الأقل مسموعة من أن يحقق فيها ("من المحتوى السياسي الضخم، الإجتماعي والتاريخي لهذيان "شريبير" (Schreiber)، لم يحتفظ بأية كلمة"،⁽²⁾

هنا أيضا تظل الفردنة والذاتية وكذا الفرد وحقيقته في منجى. وتفترض هذه "الهيكلية الضارية" -نسبة إلى هيجل-، بأن الحقيقة النفسية تكون قد فكر فيها بشكل مستقل وقبل أن تعطى شروطها الحقيقية الخاصة، أو المعنى المفارق الذي يقوم الفرد بتحيينه، وقبل أن يصبح التأويل والفهم في ترتيب الإعراف: يمعي التأويل في التحليل النفسي المعنى المستحدث، ويفقد الواقع فرديته، ويختفي الفردي داخل تسلسل

¹ - Deleuze, Gilles et Guattari. Félix: 1980 ; CAPITALISME ET SCHIZOPHRENIE.: Tome 2, Mille plateaux. Les Editions de Minuit.

² -Deleuze, Gilles et Guattari. Félix: 1972; L'Anti-Œdipe: Capitalisme et Schizophrénie T.1 Les Editions de Minuit: P67

مجرد يفتح ويغلق بنفس الطريقة كل حوار مفرد. وتعتمد مثل هذه "المرجعية المتجانسة" على مفترض البقاء لهوية هذه الصور والرموز التي تشمل حقيقة ثابتة، حقيقة الذاتية المتميزة عن كل خصوصية تاريخية، إجتماعية، ذاتية، والتي تقحم نفس الإستقرار والهوية الإجتماعية، (دائما نفس الأب، نفس الأم، نفس العائلة الطاهرة، والمأخوذة داخل نفس العلاقات).

ترتبط فكرة النسق في الذات النفسية المرتبطة بالنسق في الذات الإجتماعية بالتجريد وبالإتجاه المعولم للفكر الفرويدي، لتحجز داخل مثالية تخسر الفردي وتفصله عن الحقيقة السوسيو-تاريخية، ("بالنسبة للمحللين النفسانيين التقليديين (...)) نكون دوما أمام الوظائف الأبوية والأمومية، دائما في نفس المثلث (...)) قد يبدو من الحمق أن تتكرر أشياء بديهية كهذه، ومع ذلك، يجب دائما التبليغ عن هذه العموميات المفردة: لا توجد هناك بنية عالمية للفكر الإنساني أو للبيبدو" (1). ويصبح الفرد الحقيقي مجردا يحفز الأفكار أو التمثلات العالمية والمجردة.

ومع ذلك، وضعت "الإيديولوجية الفرويدية" كتابت لها، التعبير عن نسق إجتماعي، سياسي وتاريخي خاص، والتي تقوم بإقراره وتأكيدده على أنه متعذر تجاوزه.

وحين يقوم فرويد بإدخال كل من الرموز، العلاقات وميتولوجيات المجتمع الرأسمالي، ضمن شروط الذاتية، فإنه لا يتعد هنا عن الإستدخال وإقراره. فالفرويدية تشارك في إنتاج الذاتيات الرأسمالية: فالرأسمالية كأى مظهر إجتماعي وسياسي، المنتجة للنسق الإقتصادي-السياسي، ولكن للذاتيات الخاصة أيضا.

بالنسبة ل"غاتاري" فإن البنية الإجتماعية والسياسية والإقتصادية، تشمل إنتاج الذاتيات المرتبطة بهذه البنية، كما أن تحليل الذاتيات لا ينفصل عن

¹ - GUATTARI. Félix: 1977 ; La révolution moléculaire. Éditions recherches .Encres P.19

تلك المتعلقة بالشروط الحقيقية لإنتاجهم لسيرورات الذاتية المرتبطة دائما. فلا ينفصل السياسي عن الذاتي، ولا يمكن للتحليل النفسي أو العلاج النفسي أن يصبحا منفصلين عن السياسي. فالذاتيات الجديدة تقوم بإقحام سيرورات أخرى من الذاتية. ومظاهر إجتماعية وتاريخية أخرى (بينما تفترض الهوية النفسية التي إلتمسها فرويد ديمومة للأشكال الإجتماعية الرأسالية)

ولم يتم الحكم على فرويد، كونه عاملا أساسيا على الأقل: فهو يضع شروطا للا شعور حقيقي بعيدا عن مخططات الشعور والتمثل، والتي تسمح بتحديد الذاتية كتشخيص ناتج عن علاقة مع الخارج. ويحتفظ "غاتاري" أساسا عن فرويد، فكرته عن التحليل النفسي كتحليل للفردنة (لامرادف للفرد)، والمفرد، والتعريف للذاتوية اللاشعورية، وتحديد للا شعور منتج (غير ممثل)، وفهم الذاتية كأثر ناتج عن علاقة مع شيء آخر غيرها هي، علاقة بالإجتماعي، بالغرائز، وبالتاريخ... إلخ.

ويتبع "غاتاري" هذه التوجيهات ليصل بها إلى إتجاه يبدو في النهاية أنه يختلف تماما عن ذلك الذي وضعه فرويد: فكرة بأن الذاتية اللاشعورية تتضمن بأن الذاتية سواء تلك المنسوبة لسيرورة حقيقية متميزة للشعور والتمثل، سيرورة لاشعورية فردية، فالذاتوية المنتجة دائما لا تنفصل عن الشروط الحقيقية لإنتاجها، فالذاتوية لا توجد إلا داخل علاقة مع شيء آخر والتي تتضمن أن هذا "الأخر" يحدد بطريقة غير مجردة وواسعة (المجتمع، الحضارة، الحرب، الأب... إلخ) ولكن بطريقة واضحة ومرتبطة، بالإجتماعي، والسياسي والليبيدي داخل سيرورة للذاتية. ويعني دائما "إنفتاح على الغيرية الأكثر اكتمالا"، غيرية سياسية، إجتماعية، حيوانية، كونية... إلخ.

||- ويوجه "دولوز" في أعماله الخاصة أو بالاشتراك مع "غاتاري"، قراءة قاسية وحادة لفرويد. ومع ذلك، كثيرا ما نجده وبطريقة مكررة يستخدم النظريات الفرويدية بنفس القدر الذي ينقدها. ففي أكبر جزء من عمله،

يختبر "دولوز" فكره مع فكر فرويد، سواء على المستوى النظري، أو لبعض المسائل التي تبدو أنه ليس بإمكانها اقتصاد التطورات الفرويدية. فالإصرار على النقد بكل أشكاله المختلفة، والإستخدام الإيجابي للعديد من نقاط التحليل النفسي، وبعض المسائل المشتركة، كل هذا يبدو ظاهرا بأن فرويد يملك وسيطا ضروريا.

فالنقد الموجه لفرويد، يكشف إذن عن منوعة والتي فيها يعني القيام ب" الفصل "، وب" إبعاد" النظام: " يجب الرجوع حتى إلى المسائل التي يطرحها مؤلف عبقرى، حتى نصل إلى ما لم يقله في ما يقوله، من أجل الحصول على شئى كان يدان به دائما، حتى وإن تطلب الأمر أن نقلب ضده في نفس الوقت".⁽¹⁾

وتبدو أن أهمية فرويد تتعلق قبل كل شئى بفكرته عن اللاشعور النفسى وعن تلك المتعلقة أيضا بالمعنى كنتيجة ("لا يصبح المعنى [بالنسبة لفرويد] خزانا إطلاقا، ولا مبدءا أو أصلا، ولا حتى نهاية: ولكنه "فعل" منتج، والذي يجب الكشف فيه عن قوانين الإنتاج"⁽²⁾، فليس المعنى معطى (un donné) مباشرا، أو تجاوز يحتاج إلى كشف بواسطة فكر مكرس من أجل الإعتراف به: فهو نتاج يتضمن عملا يفرض لاشعورا فكريا، " لعبة للقوى المتممة في النفس".⁽³⁾ وتصبح قطعية فكرة أن الفكر له شرطه ضمن ميكانيزمات يتعدرتبسيطها إلى الشعور، مشركا في ذلك شيئا آخر غير الفكر، بما أنه مع فرويد، فإن فكرة اللاشعور تسمح بفصل الفكر والحياة بطريقة جديدة.

وهناك مسألة أساسية عند "دولوز"، تتعلق بتكون الفكر - كيف يمكن للتفكير أن ينتج داخل الفكر؟.

¹ - Deleuze. Gilles: 1953-1974 ; L'île déserte et autres textes. Les Editions de Minuit p.192

² - Deleuze. Gilles: 1953-1974 ; L'île déserte et autres textes. Les Editions de Minuit p.189

³ - Freud. Sigmund: 1916 ; Introduction à la psychanalyse. Éditions Payot, Petite bibliothèque Payot. p.72

وتتضمن الإجابة المعطاة، علاقات مفردة بين الفكر، اللاشعور والخارج⁽¹⁾ غير أن " دولوز" يكون قد اكتشف عند فرويد توزيعا مستحدثا لهذه العلاقات، وتصور أولي للفكر، يضع الفكر في علاقة مع اللاشعور النفسي وشيئا آخر غير الفكر (التزوات، الغرائز، الجسد، الحياة). هذه هي ذات العلاقات تماما كما تم بنائها من قبل فرويد، والتي تم تصفحها واختبارها، ثم نقدها.

* وجدنا استخدامات متعددة لترجمة L'anti-œdipe في بعض الترجمات العربية منها: "ضد-أوديب" "للا-أوديب" و"ضد- الأوديب" و"الأوديب المضاد" وقد فضلنا الإستخدام الأخير لأنه أقرب في الترجمة العربية من السابقين.

1 - Deleuze, Gilles: 1968 ; Différence et Répétition. PUF ; P.181